القيــروان

التخطيط والقبائل التي سكنتها خلال القرن الأول الهجري

الدكتور عبد الكريم محمد علوان

تاريخ استلام البحث : ١٠/ ٣/ ٢٠٢٤

تاريخ قبول البحث : ٨/ ٤/ ٢٠٢٤

الخلاصة :

القيروان رابعة لمدن ثلاث هي، مكة المكرمة، المدينة المنورة، والقدس، وهي مدينة تونسية تقع على بعد (١٥٦) كم عن العاصمة التونسية، وعلى بعد (٥٧) كم عن مدينة سوسة، وترتفع مدينة القيروان عن سطح البحر ستين متراً، وتتوسط ولاية القيروان الخريطة التونسية، وهي ترتبط بأهم المواقع الاقتصادية بالبلاد وخاصة الساحل وتونس وصفاقس، وتمتد ولاية القيروان على مساحة (٦٧١٢كم^{٢}) ، كما أنها تتسم بمناخ شبه جاف بالشمال الغربي للولاية أعلى جاف بجنوبها، وتتراوح معدلات الأمطار بالجهة من (٢٠٠مم) إلى (٣٥٠مم) شمالاً، ويبلغ تعداد السكان حوالي (٥٥٩,٧ألف نسمة حسب التقديرات الإحصائية لعام (٢٠١٠)، ويتميز السكان بطابعهم الريفي حيث يمثلون نسقب (٦٨,٢%) من مجموع سكان الولاية[١].

وتعد القيروان المدينة التي نقشت اسمها في تاريخ العرب والمسلمين، من أشهر المراكز العلمية والأدبية في الغرب الإسلامي آنذاك، وكانت تعد كعبة العلم في هذه المنطقة، حيث عُرفت ازدهاراً كبيراً في شتى المجالات الثقافية، وذلك ابتداءاً من أواخر القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الخامس"[٢].

وسنحاول في هذه الدراسة التركيز على المرحلة الأولى من تأسيس مدينة القيروان، أي قرابة ١٠٠ هجرية، وهي المرحلة الأصعب في نظر كثير من الباحثين والدارسين، كون المدينة كانت في تلك الفترة تحت مرحلة التأسيس، في ظل الصراعات السياسية اليت جرت بين المؤسس عقبة بن نافع، وبين البربر في ولايته الأولى، ثم ولاية أبو مهاجر دينار، ثم عودة عقبة بن نافع لولاية ثانية، والصراع الكبير الذي حصل مع البربر على رأسهم (كسيلة البربري) وحلفائه الروم.

الكلمات المفتاحية : القيروان ، التخطيط، القبائل.

The Kairouan

Planning and the tribes that resided the city during the first century AH

Dr. Abd Al-Kareem Mohammad Alwan

Presidency of the Republic

Date received: 10/3/2024
Acceptance date: 8/4/2024

Abstract:

Kairouan is the fourth city among three cities: Mecca, Medina, Munawwarah, and Jerusalem. It is a Tunisian city located 156km from the Tunisian capital, Tunis and 57km from the city of Sousse. The city of Kairouan. The Tunisian map, which is linked to the most important economic sites in the country, especially the coast, Tunisia and Sfax. The state of Kairouan extends over an area of (6712 km^2). It is also characterized by a semi-arid climate in the northwest of the state and more dry in its south. Rainfall rates in the region range from (200mm) in the south to (350mm north, and the population is about 559.7 thousand people according to statistical estimates for the year 2010. The population is distinguished by its
Rural areas, where they represent (68.2%) of the total population of the state[3] Kairouan, the city whose name was engraved in the history of the Arabs and Muslims, is one of the most famous scientific and literary centers in the Islamic West at that time. It was considered the Kaaba of knowledge in this region, where it experienced great prosperity. In various cultural fields, starting from the end of the second century AH unitl the middle of the fifth century.
In this study, we will try to focus on the first stage of the founding of the city of Kairouan, that is, approximately 100AH, which is the most difficult stage in the eyes of many researchers, and scholars, because the city was in that period under the founding stage, in light of the political conflicts that took place between the founder Uqba ibn Nafi and Teh Berbers in his first term, then the term of Abu Muhajir dinar, then the return of Uqba bin Nafi for a second term and the great conflict that took place with the Berbers, led by Kasila al- Berbari and his Roman allies.
Kairouan Province Book Kairouan in Numbers, (2010) published by the Ministry of Regional Development, office of the Development of the Central West,
Morocco, P

Keywords: Kairouan, Planning, the tribes

المقدمة:

القيروان رابعة لمدن ثلاث هي، مكة المكرمة، المدينة المنورة، والقدس، وهي مدينة تونسية تقع على بعد (١٥٦) كم عن العاصمة التونسية، وعلى بعد (٥٧) كم عن مدينة سوسة، وترتفع مدينة القيروان عن سطح البحر ستين متراً، وتتوسط ولاية القيروان الخريطة التونسية، وهي ترتبط بأهم المواقع الاقتصادية بالبلاد وخاصة الساحل وتونس وصفاقس، وتمتد ولاية القيروان على مساحة (٦٧١٢كم^{٢}) ، كما أنها تتسم بمناخ شبه جاف بالشمال الغربي للولاية أعلى جاف بجنوبها، وتتراوح معدلات الأمطار بالجهة من (٢٠٠مم) إلى (٣٥٠مم) شمالاً، ويبلغ تعداد السكان حوالي (٥٥٩,٧ألف نسمة حسب التقديرات الإحصائية لعام (٢٠١٠)، ويتميز السكان بطابعهم الريفي حيث يمثلون نسبة (٦٨,٢%) من مجموع سكان الولاية[٤].

وتعد القيروان المدينة التي نقشت اسمها في تاريخ العرب والمسلمين، من أشهر المراكز العلمية والأدبية في الغرب الإسلامي آنذاك، وكانت تعد كعبة العلم في هذه المنطقة، حيث عُرفت ازدهاراً كبيراً في شتى المجالات الثقافية، وذلك ابتداءاً من أواخر القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الخامس"[٥].

وسنحاول في هذه الدراسة التركيز على المرحلة الأولى من تأسيس مدينة القيروان، أي قرابة ١٠٠ هجرية، وهي المرحلة الأصعب في نظر كثير من الباحثين والدارسين، كون المدينة كانت في تلك الفترة تحت مرحلة التأسيس، في ظل الصراعات السياسية اليت جرت بين المؤسس عقبة بن نافع، وبين البربر في ولايته الأولى، ثم ولاية أبو مهاجر دينار، ثم عودة عقبة بن نافع لولاية ثانية، والصراع الكبير الذي حصل مع البربر على رأسهم (كسيلة البربري) وحلفائه الروم.

نشأة القيروان:

قام عقبة بن نافع[٦] ببناء القيروان حوالي عام (٥٠هـ/٦٧٠م)، وكان يهدف من وراء بناء هذه المدينة استقرار المسلمين بها، حيث كان يخشى من عودة المسلمين إلى ديارهم؛ وبالتالي عودة أهل أفريقيا إلى دينهم الأساسي[٧]، وقد مثل عقبة بن نافع بداية مرحلة مهمة في تاريخ الفتح العربي الإسلامي بالمغرب، هي مرحلة الفتح المنظم، التي اتسمت بميل الفاتحين إلى الاستقرار بالمغرب وعدم العودة إلى مصر، وقد تُوجَتْ هذه المرحلة بفتح جميع مناطق المغرب الكبير وتحريره من السيطرة الأجنبية، التي مثلها البيزنطيون في مراحلها الأخيرة، وقد تميز عقبة بن نافع عن القادة السابقين، الذين جاؤوا فاتحين إلى المغرب في أنه كان يرى ان تحقيق الهدف في الفتح لن يحصل دون الاستقرار في كل المناطق المفتوحة، وهذا ما جعله يقرر فوراً قاعدة

ثابتة، وهي بناء مدينة تكون محطاً لرحالهم، وقد تجسدت هذه القاعدة بمدينة القيروان، التي انشأها في مكان مناسب لظروف الفاتحين في تلك الحقبة من الزمن، فقد اختارها لتكون بعيدة عن البحر، بما يمكنها من تحاشي الهجمات البيزنطية البحرية المباشرة، كما حرص أن تكون غير موغلة في الداخل، من أجل تحاشي هجمات المعارضين والمتربصين المغاربة، كذلك أرادها أن تكون قريبة من مطقة المراعي من أجل تربية المواشي والإبل، استتبع إنشاء القيروان نتائج على درجة كبيرة من الأهمية إذ لم يكد يتم تخطيطها سنة ٥٥هـ/٦٧٥م حتى ظهرت ولاية إفريقية، وبدأت أنظار العرب تتجه إليها، إذ أصبح لهم فيها عاصمة، أو مركز يتبعه الإقليم(٨).

وتشير بعض المصادر التاريخية أنه عندما قام عقبة بن نافع بإنشاء القيروان رأى الخوف في عيون أصحابه وجنده، والذين قدموا معه، بسبب ما تحتويه هذه الأدغال من حيوانات مفترسة وقاتلة، فقام قائلاً: "أيتها السباع ارحلوا فإنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر الناس ذلك اليوم إلى أمرٍ عظيم، نظروا إلى السباع تخرج حاملة أشبالها والذئاب تحمل اجراءها، والحيات تحمل أولادها"(٩).

وتعتبر القيروان من أقدم وأهم المدن الإسلامية، بل هي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب ويعتبر انشاء مدينة القيروان بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب، فلقد كان مدينة القيروان تلعب دورين هامين في آن واحد، هما: الجهاد والدعوة، فبينما كان الجيوش تخرج منها للغزو والتوسعات، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلمون العربية وينشرون الإسلام. فهي بذلك تحمل في كل شبر من أرضها عطر مجد شامخ وإرثاً عريقا يؤكده تاريخها الزاهر ومعالمها الباقية التي تمثل مراحل هامة من التاريخ العربي الإسلامي. لقد بقيت القيروان حواالي أربعة قرون عاصمة الإسلام الأولى لإفريقية والأندلس ومركزاً حربياً للجيوش الإسلامية ونقطة ارتكاز رئيسية لإشاعة اللغة العربية. وعندما تذكر القيروان يذكر القائد العربي الكبير عقبة بن نافع وقولته المشهورة عندما بلغ في توسعاته المحيط الأطلسي وهو يرفع يده إلى السماء ويصرخ بأعلى صوته: "اللهم أشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لايعبد أحد من دونك". تقع القيروان في تونس على بُعد ١٦٠كم من العاصمة تونس. وكلمة القيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية، وتعني مكان السلاح ومحط الجيش او استراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب.

أسباب التأسيس:

اعتاد العرب في صدر الإسلام وعند تأسيس دولتهم أن يتخذوا مراكز ومعسكرات عسكرية لتثبيت أقدامهم، وتركيز سلطانهم في المناطق المحررة، مثل البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر، وإذا كان العرب قد أدركوا في هذا العهد مثل هذه المراكز، ولمسوا مدى فائدتها في الفتوحات، فإنهم قد أدركوا أيضاً إبان

العهد الأموي هذه الأهمية عندما اعتمدوا سياسة التوسع نحو المغرب، ولم يحبذ قادة فتح المغرب الإقامة في المباني الأجنبية، مثل القلاع والمدن والقصور البيزنطية، كاقرانهم قادة فتح العراق والشام الذين تركوا اتخاذ القلاع والمدن الساسانية والبيزنطية والرومانية بتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب(١٠).

ولعل السبب الرئيس الذي دعا عقبة بن نافع إلى تأسيس مدينة القيروان هو العامل العسكري الذي يخدم الجهاد المستمر والفتوح المتواصلة، الى جانب العوامل الصحية والاقتصادية التي تلبي متطلبات الجند المنتظمين في الجيش ومصالح عوائلهم المرافقين لهم، واحتياجاتهم التي تتطلبها الإقامة في مثل هذا المعسكر الجديد(١١).

ويضيف العروسي أن سبب نشأة القيروان عائد لكي "تقوم بدور رئيس وفعال في نشر الإسلام، وامتداد نفوذها في القارة الأفريقية وأوربا الغربية، والجنوبية، وجزر البحر المتوسط وحوضه العربي، وبهذا فقد لمع اسم المدينة وشمل جميع النواحي العسكرية والسياسية والحضارية والدينية معاً"(١٢).

فالمدينة كانت معقلاً مهما لحماية القوات العسكرية العربية من هجمات الأعداء المفاجئة ومن ثم ملجأ في حالة التراجع والانسحاب لحماية الجند كذلك من أي تمرد داخلي ولتكون قاعدة عسكرية تنطلق منها القوات العربية لتحرير البلاد ومقرا لتنظيم الجيش العربي وإعداده وتضميد الجرحى بعد انتهاك المعارك"(١٣).

إضافة إلى أن العامل الديني لعب دوراً محورياً في نشأة المدينة، فالقيروان كانت مركزاً لكثير من الصحابة استقروا فيها، وبثوا في مجالسها ما لديهم من علوم، في مقدمتها العلوم الشرعية"(١٤)، ولعل اختيار عقبة لموضع مدينته بعيداً عن الأماكن المأهولة بالروم لها علاقة وثيقة بالجانب الأمني الذي كان القائد ينشده عند تأسيسه لهذه المدينة، ويوضح القزويني هذه الناحية في روايته فيقول عن لسان عقبة: "إن أهل إفريقية قوم إذا عضهم السيف اسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى دينهم، ولست أرى نزول المسلمين بني أظهرهم رأياً، ولكني رأيت أن أبني هاهنا مدينة يسكنها المسلمون"(١٥).

تخطيط المدينة:

تشير الدراسات التاريخية إلى أن عقبة بن نافع عندما وصل إلى موضع القيروان، وكان فيه حصن للروم يسمى (قمونية) فاستشار رؤساء جنده وقال: "أرى لكم يا معشر العرب أن تتخذوا مدينة تجعلونها معسكراً فأجابوه لرغبته وقال بعض أصحابه قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين فقال لهم، إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركه غزاة البحر، وقربوها من السبخة، فقالوا نخاف أن يهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف، فقال لابد لي من ذلك، لأن أكثر دوابكم الإبل، وقد رأيتم

تنصر البربر، ونحن إذا فرغنا من هذا الأمر لم يكن لنا بد من الجهاد، فتكون إبلنا على باب مصرنا، في مأمن من غارة البربر والروم، واتفق رأيهم على ذلك"[١٦].

يرى كثير من المؤرخين أنه بعد استقرار عقبة بن نافع ومن معه على بناء القيروان، واختيار مكانها، شرع في تمهيد مكانها للبناء وإزالة الأشجار الموجودة فيها حتى يبدأ بتخطيطها، وإقامة المباني التي يريد بناءها ويعبر ابن الاثير عن الأشجار التي كانت مكانها قبل بنائها، وما كان يسكن فيها من الحيوان والحيات بأنها "كانت دجلة مشتبكة بها أنواع الحيوان من السبع والحيات وغير ذلك"[١٧].

وقد أقبل المسلمون يقطعون الأشجار ويمهدون الأرض لأجل التخطيط، فإذا ما انتهوا من ذلك شرع عقبة في تخطيط المدينة ويحدد شوارعها ومصالحها، وأهم شيء في ذلك ما يحقق الهدف من قيامها وهو المسجد ثم دار الإمارة، وبعد ذلك المساكن والدور التي سيقم فيها الجنود وأسرهم" فكانت بناءات القيروان في أول أمرها على غاية البساطة وقد استعمل لتشييدها قراميد الآجر لوجود الطين المناسب على عين المكان ولخلو ضواحي العاصمة من الحجارة.. ويرى أن خطط الدور فيه كما هو في الفسطاط"[١٨]. وإذا عرفنا ان خطط الفسطاط كان يقوم على اساس قبلي[١٩]، فإن خطط القيروان يكون قبليا أيضاً. وعلى الأغلب، فأن الجند، والناس المرافقين لجيش عقبة، عند وصولهم إلى موضع القيروان، قد نزلوا قبل الشروع في بناء المدينة، في خيام وأخبية طيلة الفترة التي استغرقها البناء.

وفي فترة استقرار الجنود وأسرهم رأى عقبة أن يوزع الأراضي، فقسمها على أصحابه وعين خطط القبائل[٢٠]. ليقيموا عليها الدور والمساكن[٢١]. وبدأ رجال عقبة من القادة والجند بناء منازلهم، إذ شرع رجال كل قبيلة في تشييد دورهم ضمن الخطة التي منحت لهم، وقد نزل من قوم من فهر[٢٢] بالجهة الشمالية من موضع الجامع وبنوا بها المساكن واتخذوا حولها بعض الأجنحة، وقد عرف هذا الحي بمنازل الفهريين[٢٣].

ولايوجد من المؤرخين من أشار إلى المدة الزمنية التي انشأت القيروان خلالها، كما أننا نجهل وصف اسوارها والأبراج التي كانت تدعمها، وبواباتها والشوارع والأزقة التي تخترق المدينة وتفصل أحيائها ومنازلها[٢٤].

إلا أن هنالك من المؤرخين من انتقد طريقة بناء المدينة واختيار موقعها، فإبن خلدون يقول: إن العرب لم يراعوا حسن الاختيار في تخطيط المدينة، فهو يقول "أنظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان، كيف لم يراعوا إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القفر، ومسالك الظعن، فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن... لكن في الحقيقة ان العرب لم يقتصر نظرهم عند اختيار موضع المدينة على مراعاة إبلهم، كما ذكر ابن خلدون

ولكنهم راعوا في الطليعة حسن موقعها الحربي، لبعدها عن خطر البحر وغارات الأسطايل الرومانية المفاجئة"[٢٥].

مسجدها الجامع:

اختط القائد عقبة بن نافع أولاً دار الامارة، وحدد موضع المسجد الاعظم، واختطه إلا أنه لم يشهد عليه بناء وكانت الصلاة تقام على أرضية من غير بناء"[٢٦].ويروي ابن عذاري أن الناس اختلفوا عليه في أمر قبلة المسجد وقالوا: "ان جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فأجهد نفسك في تقويمها "فأقاموا ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس فلما رأى أمرهم قد اختلف بات مغموما فدعا الله عزوجل ان يفرج عنه. فأتاه آت في منامه فقال له: "إذا اصبحت فخذ اللواء في يدك، واجعله على عنقك فأنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك، فأنظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير: فهو قبلتك ومحرابك، وقد رضي الله لك أمر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة، وسوف يعز الله بها دينه ويذل بها من كفر به" "فاستيقظ من منامه وهو جزع فتوضأ للصلاة وأخذ يصلي ركعتي الصبح- وصلى ركعتي الصبح بالمسلمين، إذ بالتكبير بين يديه فقال لمن حوله "اتسمعون ما اسمع" قالوا لا. فعلم أن الأمر من عند الله. فأخذ اللواء فوضعه على عنقه، وأقبل يتبع التكبير حتى وصل إلى موضع المحراب فأنقطع التكبير فركز لواءه وقال "هذا محرابكم"[٢٧].

وسواء صحت هذه الرؤيا أو لم تصح، وأن هذه الرواية من اختلاف الرواة خاصة بعد استشهاد عقبة، فإن قبلة المسجد قد حددت وانتهى الخلاف وبُني المحراب، ولم يجرؤ أحد بعد ذلك على تغييره، مع تعدد الولاة، وميل بعض من قام بعمارة في المسجد بعد ذلك إلى تغييره حتى لا يكون في المسجد أثر لسواه، وما زال المحراب قائما إلى الآن منذ بناه عقبة رضي الله عنه، ولم يهدم منه شيء، وإن كان أضيف إليه ما سمحت به فنون العمارة بعد ذلك، ويضيف صاحب الورقات" إن محراب مسجد القيروان أقدم محراب مجوف أدخل على المساجد"[٢٨].

ويذكر ابن الأثير مقدار مساحة دور القيروان وتاريخ اتمام بنائها بأن "دورها ثلاث آلاف باع وستمائة باع، وتم أمرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس"[٢٩]. ويحدد ابن عذارى مساحاتها بالذراع فيقول "دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع"[٣٠]، وربما تكون القيروان عند نشأتها أقل من أن تشغل كل هذه المساحة مما جعل بعض المؤرخين يصفون ذلك بالمبالغة[٣١]. ولكن الجنحاني يصفها بأن شوارعها الرئيسية تمتاز بالاتساع

إذا قورنت بالعواصم الإسلامية القديمة، أما اسواقها فإنها منطقة حسب أنواع الصناعات، مما يؤيد صحة رأي المؤرخين القدامى عن مساحتها وسعتها"[٣٢].

دورها في الفتوحات الإسلامية:-

لعبت القيروان في مرحلتي الفتح الإسلامي لأفريقيا دوراً محورياً، لاسيما وأنها شكلت المدينة الرئيسية لإنطلاقة عقبة بن نافع وجيشه، سواء أكانت في المرحلة الأولى من التأسيس عام (٥٣هـ)، حيث مكث عقبة في ولايته أربع سنين (٥٠-٥٥هـ)[٣٣]، أم في المرحلة الثانية بعد انتهاء ولاية أبو مهاجر دينار (٦٢هـ) ومن هنا لابد من القول إن لتأسيس مدينة القيروان اثره في نفوس البربر الذين كانت تربطهم بالروم روابط وثيقة، وكانوا حينئذ تحت حكم أميرهم (ستردير) الذي لم يفكر في عاقبة نشوء مدينة القيروان، بل جدّد عهده مع البربر وضمن لهم الحماية والاستقرار في ظل حكمه، وبعد وفاة (ستردير) خلفه (كسلية)[٣٤]، الذي عاش بينهم زمناً طويلاً فعرفوا خلالها طباعه وسياسته، وعلموا أنه هو الذي يمكن أن يخلف (ستردير)، ويسير على سياسته ويبدأ من حيث انتهى، فيواصل تطوير مستوى البربر السياسي والعسكري ويهتم بالدفاع عنهم، ويحقق الهدف الذي رسمه مع الروم- أحلافهم[٣٥].

فرأى كسيلة في هذه المرحلة الزمنية أن أسلوب الراحة والركون، والإطمئنان للعرب المسلمين الفاتحين، لايحقق هدفه في التوسع والاستقرار والسيطرة، فبدأ يشعر البربر بخطر العرب المسلمين ويرهبهم من نتائج فتوحاتهم، لاسيما بعد تأسيس مدينة القيروان، التي عدها كسيلة بداية التوسع الإسلامي على حساب البربر (السكان الأصليين).

وفي هذه الأثناء استشعر المسلمون تحت إمرة أبو مهاجر دينار خطر الفكر البربري الذي ينتهجه (كسيلة)، لاسيما بعد أن قام البربر الذين دخلوا الإسلام بعد فتح عبدالله بن أبي السرج بتحذير المسلمين من توجهات (كسيلة) السياسية والعسكرية، فرأوا أن يبعثوا بهذه الأخبار إلى المسلمين ليحبوطها، ولعلها تزامنت رغبة البربر في نشر الإسلام في ربوع إفريقية مع خوفهم من قوة الروم الذين لم يجدوا الراحة والأمن في ظلهم، ونقلوا رغبتهم هذه إلى أبي المهاجر دينار، الذي عجل بالمسير، وترك الإقامة في مدينة القيروان، التي أقامها عقبة بن نافع لتكون مركزاً إستراتيجياً يلجأ إليه المسلمون في حالة مداهمة خطر البربر والروم لهم، ونزل بأرض تونس- وقيل نزل بسبخة وبني بها[٣٦]، وفي أثناء استعداد (كسيلة) للإنقضاض على مدينة القيروان، وقتل المسلمين فيها وطردهم من أرض أفريقيا، كان أبو مهاجر على رأس جيشه يستعد لمواجهة (كسيلة) في موقعه"[٣٧]، وعندما

استشعر كسيلة صعوبة الوضع اعلن الدخول في الإسلام مستسلماً"[٣٨]. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الهدوء عم مدينة القيروان والمناطق التي يسكنها البربر خلال الفترة ما بني (٥٥-٦٢هـ)، حيث انتهت في سنة (٦٢هـ) ولاية أبو مهاجر دينار، بعد أن قام الخليفة يزيد بن معاوية (٦١-٦٤هـ) باستقطاع ولاية أفريقية من مسلمة بن مخلد والى مصر، وعزل أبو مهاجر دينار، ورد عقبة بن نافع إلى ولاية أفريقية ثانية"[٣٩].

لقد شكلت القيروان عند عقبة بن بنافع المدينة التي من خلالها حقق الانجازات والانتصارات العسكرية، فلم يكن يتوجه إلى معركة إلا ويودعها وداع محب عاشق لها، وخير مثال على أهمية هذه المدينة ان عقبة عندما جهز جيشا قوامه ١٥ ألف مقاتل، معظمهم ممن قدموا معه من الشام ومصر، ومسلموا البربر على رأسهم (كسيلة)، حيث أراد مغادرة المدينة لمقاتلة الروم في ناحية باغية، ووادي المسيلة بالزاب، فدار حول القيروان مودعاً لها قائلاً: "يا رب املأها علما وفقهاً واملأها بالمطيعين لك، واجعلها عزًّا لدينك وذلا على من كفر بك، ثم جمع أولاده وأوصاهم بثالث خصال هي: الحرص على القرآن الكريم، وترك الدين وألا يأخذوا العلم الا امن أهله، فقال: عليكم بالقرآن فإن القرآن دليل على الله عزّ وجل، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب... وأوصيكم ألا تداينوا ولو لبستم العباء، فإن الدين ذل بالنهار وهم بالليل، فدعوه تسلم لكن أقداركم وأعراضكم، وتبق لكم الحرمة في الناس ما بقيتم، ولا تقبلوا العلم من المغرورين لمرخصين، فيجهلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ومن احتاط ونجا فيمن نجا"[٤٠].

وتؤكد المصادر التاريخية أنه وبعد أن انتهى عقبة من مواصلة حلقة الفتوح في أفريقية ووصل إلى نهاية السوس الأقصى، وادخل أهل جزولة في الإسلام، عاد أدراجه إلى القيروان، فمر بدكالة ودعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا وقاتلهم، واستشهد من المسلمين عدد كبير، فسمي هذا الموضع مقبرة الشهداء، كما مر بهسكورة، ودعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا أيضا فقاتلهم وشتت شملهم، وهذا يفيد ان عقبة بن نافع كان حريصاً على استغلال أية فرصة لنشر الإسلام في كل بقعة من بقاع أفريقية، فكان عقبة قوي الإيمان بدينه، شديد الحماس لنشره، لايجد في حياته سعادة تعادل سعادة الجهاد في سبيل الله، ونشر راية الإسلام"[٤١].

ولابد من القول ان كسيلة في هذه الفترة كان قد نكث بالعهود والمواثيق، وبايع الروم والبربر المعادين، وذلك لتحقيق مآربه في العودة إلى سيادة البربر، وإحياء التحالف مع الروم، مقابل قتل عقبة، وطرد المسلمين من أفريقية، ولكن عقبة اكتشف أمره، فطلب من جنوده أسره لينظر في أمره فيما بعد، ولم قرب عقبة بن نافع من المغرب الأدنى علم أن (كسيلة) فر من جنود المسلمين، وهاجم القيروان، فحزن عقبة لهذا الاعتداء على

مدينة القيروان، المدينة التي رافقته في معارك، وبدأ يفكر في مصير زهير بن قيس– الذي استخلفه عقبة على القيروان عند خروجه منها – والحامية التي معه، لذلك عجّل العودة؛ لينقذ ما يمكن انقاذه، خاصة بعدما علم بالحلف الذي عقده البربر مع الروم للقضاء على المسلمين في أفريقية، ولما وصل مدينة طبنة من أرض الزاب أذن لأصحابه بالانصراف إلى القيروان، ولا غرابة في أن يأذن عقبة لرجاله بالإسراع إلى أهليهم وذراريهم بعدما انجزوا من الأعمال في تلك الحملة التي استمرت أكثر من سنة، خاصة وأنهم كانوا محملين بالغنائم والسبي"(٤٢).

وفي مدينة القيروان وقع الصدام كما تشير المصادر التاريخية بين البربر، وزهير بن قيس، وتمكن زهير – الذي كان في ستة آلاف– من الحاق الهزيمة بالبربر الذين كانوا في ثلاثين ألفاً، وهذا يدل على ان البربر لم يأتوا القيروان للحرب؛ وإنما لجذب عسكر عقبة إليها، حتى إذا انصرف الجميع عنه وبقي في قلة من أصحابه تركوا القيروان وهاجموه وقتلوه مع من بقي معه. وكان على من بقي مع عقبة بن نافع من البربر أن ينفذوا المرحلة الأخيرة من المؤامرة التي رسمها كل من كسيلة والبربر والروم، فيقنعوا عقبة مع أتباعه المسلمين بالاتجاه إلى الجنوب الغربي للقيروان ناحية تهوذة، حتى لا يستطيع جنده العثور عليه إذا هو استنجد بهم"(٤٣).

وكانت عيون الروم في هذه النواحي تراقب عن كثب تحركات عقبة وأتباعه، فعلموا أنه في ثلاثمائة فقط فراسلوا كسيلة الذي كان يقيم في القيروان، فتحرك مع البربر وانضم الروم إليهم فأصبحوا خمسين ألفاً فزحف الجميع ليلاً حتى نزلوا بالقرب من عقبه، وحين رأى هذه الجموع الغفيرة أيقن بقرب نهايته، ومع ذلك زحف إلى خصمه كسيلة الذي تنحى عنه وانحرف عن طريقه حتى وصل أمام حصن رومي قديم عد تهوذة كان الروم قد عسكروا فيه وتجهزوا للقاء عقبة، واجتهد الروم في اجتذاب عقبة إلى حصنهم، وطمعوا فيه وأغلقوا أبوابه وشتموه ورموه بالنبل والحجارة، وهو يدعوهم إلى الله تعالى"(٤٤).

وفي هذه الحادثة التي أدت إلى مقتل عقبة بن نافع مؤسس وباني مدينة القيروان، وفاتح أفريقيا، تقف المصادر للحديث عن دور كسيلة في الحرب بين الجانبين، وترجح المصادر التاريخية "أن كسيلة كان يلعب دوراً خطيراً، فكان الرأس المدبر الذي جمع جموع البربر، لتكون ضربتهم للمسلمين قوية جداً، كما أنه الذي قام بقتل عقبة بن نافع نفسه"(٤٥).

وهنا لابد من القول إن التغيير الذي شهدته مدينة القيروان بعد مقتل عقبة بن نافع كان سببه الحالة النفسية التي آل إليها المسلمون في المدينة فباتت مدينة القيروان على حالين، الأول: ضرورة البقاء في القيروان

والتصدي لكسيلة وأتباعه، وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى، والثاني: سرعة الانسحاب من القيروان؛ لأنهم لا طاقة لهم بقتال هذه الجموع الكثيرة؛ لأنهم سيدخلون حرباً خاسرة، ويكون مصيرهم كمصير عقبة بن نافع ومن قتل معه، قيل أن التابعين وفي مقدمهم حنش الصنعاني، نظروا في هذا الظرف العصيب الذي يمر به المسلمون وقلبوا الأمور، ورأوا أن الصالح العام للمسلمين لا يتعارض مع الإيمان بالله تعالى وبقضائه وبقدره، وأن الحكمة تقتضي المبادرة في الرجوع إلى مصر – على الأقل تلك الفترة الحرجة؛ للاستعانة بقوات أخرى، ليمكنهم مواجهة كسيلة وحلفائه بها، وانطلاقاً من ذلك بادر حنش الصنعاني إلى نصيحة زهير البلوي وطلب منه الانسحاب العاجل مع بقية الجيش الإسلامي إلى الشرق؛ حتى لا يتعرض الجميع لسيوف البربر وتكثر الخسائر في الأرواح والمعدات، وقال في خطابه لهم": يا معشر المسلمين من أراد منكم القفول إلى مشرقة فليتبعني... وقيل ان زهيراً خطب في الناس– بعد كارثة تهوذة مباشرة – فقال": يامعشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة وقد منَّ الله عليهم بالشهادة فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك"[٤٦].

يؤكد ذلك ابن الأثير بقوله "فلما علم زهير بخبرعقبة بن نافع في تهوذة اعتزم القتال"[٤٧]. كان من الطبيعي أن يميل الناس إلى رأي حنش الصنعاني ويتبعوه، فقد رأوا بأعينهم كثرة جند كسيلة وأتباعه– قبل مقتل عقبة بن نافع– وعلموا أنهم قلة قليلة إذا ما قورنوا بتلك الحشود، وعلموا أن الجنود العائدون إلى القيروان بعد الغزو الطويل مع عقبة بن نافع كانا مجهدين جداً، وعاجزين عن القيام بأي عمل آخر فترة من الزمن وجاءت فاجعة تهوذة فأضافت الفزع إلى الإجهاد، وجعلتهم يميلون إلى العودة ميلاً شديداً؛ لأن لقاءهم بالعدو يعني إلقاء النفس إلى التهلكة.

وترتب على انسحاب المسلمين العرب من القيروان أن أصبح المكان مهيئاً لدخول أي قوة فيها والسيطرة التامة عليها، ولهذا لم تستغرق سيطرة كسيلة وحلفائه عليها إلا زمناً يسيراً؛ لأنه لا يوجد فيها حامية تدافع عنها. ويعتقد المؤرخون أنه نجم عن انسحاب الجيش الإسلامي إلى برقة خروج أفريقية من أيدي المسلمين العرب، وضياع جهود أربعين سنة قضاها المسلمون في فتح هذه البلاد، لكن الأمر لم يكن كذلك؛ فلربما خرجت أفريقية من يد الجيش الإسلامي لمدة لا تتجاوز أربع سنين ولكنها لم تخرج من يد المسلمين، لأن الإسلام قد انتشر على يد الفاتحين والدعاة الذين كانوا يسيرون في صفوفهم، ومن ثم ترك هؤلاء بأفريقية آثاراً لا تمحى من جهة الدين واللغة ونشر الفضائل ، فأسلمت قبائل كثيرة من البربر وظلت البقية الباقية من الجيش في برقة؛ استعداداً لمعاودة الكرة على كسيلة والبربر وتقليم أظافرهم، ولعل انقلاب أفريقية ناراً، بعد استشهاد عقبة بن نافع

والمسلمين يؤكد ذلك؛ لأن هذا يعني أن جماعات كثيرة في أفريقية أقلقها خبر مقتل عقبة والمسلمين، كما أغضبها خروج المسلمين من القيروان، ولابد أن هذه الجماعات إما بربراً مسلمين أو أنصاراً لهم"[٤٨].

وبعد انسحاب المسلمين من القيروان حاضرة المسلمين في أفريقيا سنة ٦٤هـ، أصبحت الطريق إلى القيروان مفتوحا امام كسيلة وأتباعه ، إذ لم يبق بها إلا قلة من المسلمين معظمهم من التجار، والشيوخ والنساء والأطفال، وبعض البربر، كما بقي فيها من البربر كثير بعضهم من نفوسه وبعضهم من أهل درن والآخرون من زناته وكلهم من أهل القيروان ويميلون إلى جانب المسلمين. ولابد أن عيون كسيلة نقلت إليه هذه الأخبار، والتي شجعته على التقدم إلى القيروان، وقدمها بالفعل سنة ٦٥هـ، ولما دخلها لم يجد فيها مقاومة تذكر واستولى عليها، وهرع الناس إليه يسألونه الأمان، وتحير في أمرهم: إما أن يتخلص منهم من المسلمين العرب والبربر (وتصفوا له القيروان كاملة، أو يعطيهم الأمان جميعاً على الأقل في هذه الفترة الحرجة التي اشتعلت فيها أفريقية ناراً"[٤٩].

ولما دخل (كسيلة) مدينة القيروان عاش فترة استرخاء كما تشير المصادر التاريخية امتدت خمس سنوات وتحديداً من ٦٥-٦٩هـ، حيث لم تكن أمور المسلمين على ما يرام في المشرق، فقد مات الخليفة يزيد بن معاوية، وخلفه ابنه معاوية الثاني، مدة أربعين يوماً ثم توفي، وبقى خلافة المسلمين تخلو من خليفة مدة ٦ شهور، عندها قام خلالها عبدالله بن الزبير بالدعوة لنفسه في الحجاز، وبقيت حالة المسلمين السياسية في صراعات متواصلة، لذلك لم يكن باستطاعة الخلافة الأموية في ظل هذه الظروف أن تجند لكسيلة وحلفائه جيوشاً تطردهم بها من القيروان؛ لانشغالها بإقرار أمور الدولة القريبة منها، ولذا نجد الخليفة عبدالملك بن مروان – على سبل المثال – اضطر إلى مصالحة ملك الروم، بإعطائه ألف دينار كل جمعة، مقابل الكف عن مهاجمة المسلمين من جهة الشام حتى تهدأ الأوضاع الداخلية في البلاد"[٥٠].

أما بالنسبة لمن بقي في القيروان، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن مسلمي القيروان وعلى رأسهم زهير بن قيس كانوا يعدون العدة لاسترجاع القيروان من كسيلة والبربر، إلا أن خروجهم منها حال دون تنفيذ هذا الهدف، ولكن ومن برقة بدأ زهير يعد العدة للعودة إلى القيروان لإرجاعها إلى السيطرة الإسلامية؛ لأنها بلادهم وليتخلص الشعب الأفريقي الإسلامي الناشئ من يد مستبد ككسيلة، ومنذ وطئت قدماه أرض برقه كاتب الخليفة يزيد بن معاوية، إلا أنه فوجئ بخبر وفاته وانفتاح ابواب الفتنة من كل جهة، وبناء على هذه التطورات الأخيرة رأى التريث في الأمر وعدم الاستعجال، وبقي وضع المسلمين في أفريقية يؤرقه كل حين، فلم يتردد في إطلاع

ولاة الأقاليم على أخبار أفريقية، مما دفعهم إلى الاجتماع بخليفة المسلمين مروان بن الحكم، حيث سألوه أن يبعث الجيوش لإنقاذ أفريقية من يد كسيلة وحلفائه وإعادتها إلى حوزة ، ويذكر المؤرخون أن الخليفة عبدالملك كتب سنة ٦٩هـ إلى زهير بن قيس وهومقيم ببرقة يأمره بالخروج إلى القيروان لاسترجاعها من يد كسيلة، باعتبارها بلاداً إسلامية، وتهتم الخلافة بأمرها كما تهتم بالعراق والحجاز، فبعث زهير بن قيس إلى الخليفة عبدالملك كتاباً يخبره فيه بقلة من معه من الرجال والأموال وكثرة من اجتمع على كسيلة من البربر والروم، فدعا الخليفة الناس إلى الجهاد في سبيل الله، فسار عدد كبير من أهل الشام– لم تحددهم المصادر وزوّدهم من أموال مصر فتقوى بهم زهير وسار معهم نحو القيروان في ذي القعدة سنة ٦٩هـ؛ لأن المالكي ذكر ان زهيراً وصل القيروان عيد الأضحى من السنة نفسها– ونزلوا جميعاً بقرية قرشانه أما كسيلة فلم يقل جيشه عن خمس وأربعين ألفاً، وهذا بالتأكيد أضعاف الجيش الإسلامي، وبالرغم من هذا أبدى تخوفاً من المسلمين؛ لأنه خشي أن يقع بين خطرين؛ خطر داخلي متمثل في مسلمي البربر ومن يميل إليهم، والذين قد يتحركوا ضده انتصاراً لزهير بن قيس، وهذا يتبين من كلام كسيلة للمقربين إليه حين قال لهم": إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة (القيروان) فإن بها قوماً من المسلمين لهم علينا عهود ونحن نخالف إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا"[٥١]. وخطر خارجي متمثل في الجيش الإسلامي القادم من برقة. وكان كسيلة يتحاشى اللقاء بالجيوش الإسلامية داخل القيروان، وعمل على مقابلتهم خارجها وحدد مكان اللقاء بمَمْس؛ لما اشتهرت به من التحصينات منذ القدم، ولوقوعها في الجنوب الشرقي من جبال أوراس، للالتجاء إليها إذا ما دارت الدائرة عليه، ولكونها تقع على ماء، وللماء أهميته الكبيرة لجيش كجيش كسيلة– الذي يقارب الخمسين ألفاً– ، وفي هذا قال كسيلة: "ولكن نترك على موضع ممس وهي على الماء، فإن عسكرنا عظيم، فإن هزمناهم إلى طرابلس قطعنا آثارهم، فيكون لنا الغرب إلى آخر الدهر، وإن هزمونا كان الجبل منا قريب"[٥٢].

وكان زهير بن قيس قد وصل قرية قرشانة، وفيها وصلته أنباء تقدم كسيلة مع جنده إلى مَمْس، فكان عليه أن يتحرك صوب القيروان؛ ليُطمَئِن مَنْ فيها من المسلمين عرباً وبربراً بقدومهم وقرب الظفر بكسيلة وجيشه، ويحثهم في نفس الوقت على المسير معه نحو كسيلة وأتباعه. استعداداً للقاء المصيري الذي سيحدد مستقبل الفتح في المغرب كله، كما أوضح ذلك كسيلة في خطابه لجنده، حيث قال: "فإن هزمناهم إلى طرابلس قطعنا آثارهم فيكون لنا الغرب إلى آخر الدهر"[٥٣].

ووصل زهير بن قيس والجيش الإسلامي باب القيروان يوم الأحد (العاشر من ذي الحجة سنة ٦٩هـ) وأقاموا عنده ثلاثة أيام، ثم ارتحلوا صباح الأربعاء (الثالث عشر ذي الحجة) ناحية مَمْس فوصلوها آخر النهار، وبات الناس في مصافهم على حذر شديد، وفي صباح يوم الرابع عشر التقى الطرفان، واقتتلوا قتالاً شديداً،

وكثر البلاء في الجانبين، ولاحت بشائر النصر للمسلمين، وهزم كسيلة وحلفاؤه (الروم) وقتلوا قتلاً ذريعاً، مما اضطر معه كسيلة إلى النزول إلى ساحة المعركة ومباشرة القتال مع جنده لرفع روحهم المعنوية، لكن الله تعالى كان لكسيلة وجيشه بالمرصاد، وُقتِل كسيلة مع من قتل من البربر، وخذلهم الله جميعاً، ورد كيدهم في نحرهم".

وتفرق البربر ولحق بعضهم بالجبال القريبة منهم، لخوفهم من القتل على يد المسلمين، وهذا يتبين من قول كسيلة "وان هزمونا كان الجبل منا قريب"[٥٤]. وهرب البعض الآخر الى القلاع والحصون، ومن بقي اضمحل شأنه، وطاردهم زهير بن قيس إلى حدود طنجة، مما دفع بالروم إلى أن يحنقوا على المسلمين، حيث هاجموا برقة، وقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً، فاستشهد زهير وكل من كان معه من المسلمين رضي الله عنهم سنة (٧٦هـ) وترتب على هزيمة كسيلة وحلفانه أن قضى زهير والجيش الإسلامي على مقاومة البربر البرانس، الذين حملوا لواء المقاومة، وقاضيه لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على المسلمين العرب كما أن هذا الانتصار أخاف البربر بصفة عامة، فهابوا قوة المسلمين، وأصبحوا يحسبون لها ألف حساب. وعاد المسلمون إلى قواعدهم ف أفريقية مرة أخرى وتحديداً إلى مدينة (القيروان) لتكون نقطة الارتكاز في الفتوح التالية بدلا من برقة، فقد اتخذها حسان بن النعمان حاضرة، وانساح منها يحارب البربر والروم منتصراً عليهم، كما ترتب على نهاية كسيلة دخول عدد كبير من أتباعه في الإسلام، لما رأوه بعد هزيمته ومقتلهم وأسرهم من معاملة حسنة"[٥٥].

الخاتمة:

قبل ما يقرب من من أكثر من ١٣٥٠ عاماً بنيت مدينة القيروان ، وهي منذ ذلك الحين تتميز بسحر خاص جعلها من القطع الساحرة والنادرة في العالم القديم، ولعله كانت الأشهر على الأطلاق.

فخلال ثلاثة عشر قرناً لم تنقطع عن المغرب العربي خاصة والعالم العربي عامة وتفاعلت مع الواقع لخلق أفق رحب يستوعب كل ذلك الاحتدام في الحوادث والتداعيات التي تزخر بها.

وتستمد القيروان أهميتها التأريخية منذ قدمها وبنيتها وريادتها في المغرب العربي من خلال قيادة عقبة بن نافع عند التأسيس والسير على خطاه من خلال الاهتمام في الجوانب العسكرية والاقتصادية والصحية والاهتمام بالعوائل المرافقة للجند[٥٦].

وكما أكد العروسي[٥٧] اهميتها في نشر الإسلام ودورها الفعال حيث ساهمت في نقل وتوثيق جزءاً من الإرث الإسلامي والإنساني.

وبعد مقتل عقبة بن نافع على يد كسيلة البربري خرجت أفريقيا من يد الجيش الإسلامي لمدة يسيرة لكنها لم تخرج من المسلمين كون الإسلام انتشر على يد الفاتحين والدعاة الذين كانوا معهم، لكن لم يكن هناك الاستطاعة للدولة الأموية في خلافة عبدالملك بن مروان أنه يجند لكسيلة وحلفائه جيوشاً وتطردهم من القيروان.

لكن وجود زهير بن قيس واخباره للخليفة عن الوضع العام وقلة من معه من الرجال والأموال وكثرة من اجتمع مع كسيلة دعا الخليفة الناس إلى الجهاد في سبيل الله حيث سار عدد كبير من أهل الشام ولم ترد المصادر عددهم وزودوهم من أموال مصر، وقتل كسيلة واستشهد زهير وكل من معه من المسلمين (رض) سنة (٧٦هـ) وترتب على نهاية كسيلة دخول عدد كبير من اتباعه في الإسلام[٥٨].

هوامش البحث:

[١]كتاب ولاية القيروان ، القيروان في أرقام، (٢٠١٠) إصدار وزارة التنمية الجهوية، ديوان تنمية الوسط الغربي، المغرب، ص٨.

[٢]خلدون، بشير (١٩٨١) الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر، ص٢.

[3] Khaldoun, Bashir (1981), The Critical Movement in the days of Ibn Rashiq Al-Musili, National Publishing and Distribution Company, Algeria.

[٤]كتاب ولاية القيروان ، القيروان في أرقام، (٢٠١٠) إصدار وزارة التنمية الجهوية، ديوان تنمية الوسط الغربي، المغرب، ص٨.

[٥]خلدون، بشير (١٩٨١) الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر، ص٢.

[٦]عقبة بن نافع بن عبدالقيس القرشي الفِهْري من أكابر التابعين ومن القادة المتألقين، الذين صنعوا مجد الدولة الأموية، هذه الدولة الرائدة في تاريخ العرب والمسلمين. بدأ نجمه يظهر على مسرح الفتح العربي الإسلامي بالمغرب منذ أن كان في عمر الرابعة عشر (ويطلق المؤرخون العرب اسم المغرب على كل ما يقع غرب مصر)، حينما كلفه ابن خالته عمرو بن العاص بفتح عدد من الواحات الليبية مثل زويلة وفزان، وقد تم فتح هاتين الواحتين في الوقت الذي انجز فيه عمرو بن العاص فتح الساحل الليبي من برقة (بن غازي) في الشرق حتى صبراته في الغرب. وحينما عاد عمرو بن العاص إلى مصر بسبب عدم موافقة الخليفة عمر بن الخطاب على متابعة الفتح بإفريقية (تونس اليوم) أو بما كان يسمى بالمغرب الأدنى، كُلف عقبة بن نافع بإدارة ما انجز فتحه بليبيا. وحينما عينه معاية بن أبي سفيان قائداً لعملية فتح المغرب سنة ٥٠هـ/٦٧١م، كانت خبرته قد تراكمت في شؤون الحكم وفي معرفة طبيعة البلاد وأهلها، هذا إضافة إلى ثباته على مبدأ الصدق والوفاء لانتمائه العربي والديني. (الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، الحضارة العربية، عقبة بن نافع، ص٣١٤).

[٧]ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org.

[٨]الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، الحضارة العربية، عقبة بن نافع، ص٣١٤.

[٩]المالكي، أبو بكر عبدالله، (١٩٩٤)، رياض النفوس، ج١، تحقيق: محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٧.

[١٠]البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (١٩٨٨)، فتوح البلدان، بيروت: دار الهلال، ص٢٨٨.

[١١]العميد طاهر مظفر (١٩٧٧)، تأسيس مدينة القيروان، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد٢١، ص٣٤١.

[١٢]العروسي، محمد (١٩٨١) سيرة القيروان، دار العربية للكتاب، تونس، ص١٧.

[١٣]مؤنس، حسين (د.ت) فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، ص١٤٥؛ العروسي، محمد (١٩٨٦)، سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب، تونس، ص١٧.

[١٤]أبو العرب، محمد (١٩٨٦) طبقات علماء أفريقيا وتونس، تقديم علي الشابي ونعيم اليافي، الدار الفرنسية، ص٦٥.

[١٥]القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (د.ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، ص٢٤٢.

[١٦]التهامي، نفرة، (١٩٦٤) القيروان عبر العصور، طباعة الدولة للشؤون الثقافية، المغرب، ص١٥-١٦.

[١٧]ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عزالدين (١٩٩٧) الكامل في التاريخ، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٣، ص٢٣٤.

[١٨]عبدالوهاب، حسن حسني، (١٩٦٥)، الورقات، القسم الأول، مكتبة المنار، تونس، ص٤٤.

[١٩]ابن الاثيرن (١٩٧٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الثالثن المكتبة العلمية، بيروت، ص٢٨٨.

[٢٠]ابن الاثيرن (١٩٧٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الثالث، المكتبة العلمية، بيروت، ص٤٥.

[٢١]صادق جعفر حسن (١٩٨٥)، الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق، رسالة ماجستير (غير منشورة) مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، ص٣٢.

[٢٢]ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد (١٩٨٨) تاريخ علماء الأندلس، ج١/١٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، المطوي، محمد العروسي (١٩٨٦) سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب، تونس، ص٧٧.

[٢٣]أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي، الإفريقي، (د.ت) طبقات علماء أفريقيا ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص١٨٤-١٨٧؛ المالكي، رياض النفوس، ج١/٣٤٥ وما بعدها؛ ابن ماكولا، ابو نصر علي بن هبة الله (١٩٦٦) الاكمال في رفع الارتاب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج١، عُني بتصحيحه والتعليق عليه عبدالرحمن بن يحيى المعلي اليماني، الناشر محمد أمين، ط٢، حيدر آباد الدكن، ٢٦٦؛ القاضي عياض، ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (١٩٩٦) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مال، ج١، تحقيق احمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ٥٦٤-٥٨٥.

[٢٤]المالكي، رياض النفوس، ج١/ ٣٨٤؛ وينظر القاضي عياض، ترتيب المدارك ، ج٢/٥٨٨.

[٢٥]التهامي، نفرة، القيروان عبر العصور، ص١٥-١٦.

[٢٦]ابن عذاري، (١٩٤٨)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، مطبعة بريل- لندن، ص٢٠-٢١؛ المالكي، رياض النفوس، ص٧-٨؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص١٠-١١.

[٢٧]حسنين، حسن، الورقات، القسم الأول، ص٥٩.

[٢٨]حسني، حسن ، الورقات، المصدر السابق، ص٥٩.

[٢٩]ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٣٤.

[٣٠]ابن عذاري ، البيان المعرب، ج١، ص٢١.

[٣١]انظر في هذا الشأن، مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، ص١٤٥؛ وعبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، ص٢٠٧.

[٣٢]أنظر: الجنحاني، الحبيب، القيروان، ص٥٨؛ وزيتون، محمد (١٩٨٨)، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ص٨٠-٨١.

[٣٣]المالكي، رياض النفوس، مرجع سابق، ص٢٢.

[٣٤]كسيلة بن لمزم الأوربي البربري البرنسي أكبر رؤساء البربر وزعيم بربر أوربه والبرانس، ولذا نسب إليهم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، أنظر: فتوح مصر وأخبارها (١٩٢٠) بغداد، ص١٩٨؛ محمد بن عذاري المراكشي، (١٩٤٨)، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، مطبعة بريل– لندن، ص٢٨؛ أحمد عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٤٧ (م١، ج٢٢، ورقة ٧١أ، أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، (١٩٦٣)م، ص٨١؛ وقيل كسيلة علي بن الاثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران، المطبعة الإسلامية (ج٣، ص٤٢١)؛ عبدالرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (١٩٦٨) الطبعة الثانية، مصر، (ج١، ص٤٦)، وقيل أكسيل، خليفة بن خياط (١٤٠٥)هـ، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمرين (الطبعة الثانية، ص٢٥٣)، وقيل كسيل، ابن الآبار القضاعي (١٣٨١هـ)، الحّلة، السيراء، بيروت، ص٤٦).

[٣٥]ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ، ج٦، ص١.

[٣٦]قائد فاتح كان مولى لبني مخزوم، ولم أولي مسلمة بن بمخلد الأنصاري مصر وأفريقية، استعمله على أفريقية بدلا من عقبة بن نافع سنة ٥٥هـ/٦٧٤م، واستشهد مع عقبة بن نافع في معركة تهوذة بأرض الزاب سنة (٦٣هـ/٦٨٢م)، انظر: السلاوي (د.ت)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص٧٨–٨٠؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ١٥٦–١٧٦؛ الزركلي (د.ت) ، الأعلام، ج٣، دار الملايين ، دمشق، ص٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٩.

[٣٧]المالكي، رياض النفوس، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٨.

[٣٨]عبدالوهاب منصور (١٩٨٦)، قبائل المغرب، الرباط، ج١، ص١١١.

[٣٩]ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢. وتشير الدراسات التاريخية إلا أن مدة ولايته الثانية، كانت ثالث سنين وثمانية أشهر إلا ثماني ليال، انظر: علي بن الحسين المسعودي (١٤٠٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، بيروت، ج٣، ص٦٦؛ الحنبلي، عبدالحي، (١٩٨٦)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، بيروت، دار ابن كثير، ص٦٦–٧١.

[٤٠]الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (١٩٩٨) معالم الإيمان، ج١، تحقيق: محمد ماضور، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، بيروت، ص٤٣–٤٨؛ البيان المغرب، ج١، ص٢٣؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٢–٢٣.

[٤١]الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥؛ الفاسي، الحسن بن محمد الوزان (١٤٠٣هـ) وصف أفريقية، ج١، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص١٤٤–١٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٨.

[٤٢]ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عزالدين، (١٩٩٧) الكامل في التاريخ، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص٤٥٢؛ السلاوي، الاستقصا لاخبار المغرب الأقصى، ص٨٣؛ وانظر رواية "ثقة بما دوخ من البلاد وأذل من البربر" ابن خلدون (١٩٨٨)، تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٦، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ص١٤. وقد أشار ابن عذاري إلى

ذلك بقوله: "فتفرق عنه جيشه للإياب إلى أحيائهم والبدار إلى عيالهم.. وقد مكث عقبة في المغرب ثلاث سنوات" ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٨-٣٠.

[٤٣]مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، ص١٩٨.

[٤٤]انظر: ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري (١٩٩٦) فتوح مصر واخبارها، دار الفكر، بيروت، ص١٩٨؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٩٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ديوان العبر والمبتدأ، ج٦، ص١٤٦؛ الطرابلس، أحمد ناشب الأنصاري (١٨٩٩) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، دار الفرجاني، استنبول، ص٣٢-٣٣؛ الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤)، تاريخ الفتح العربي، هامش٢، دار المدار الإسلامي، بيروت، ص١٢٥-١٢٦؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٥-٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

[٤٥]ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن (٢٠١٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، دار ابن حزم ، بيروت، ص٤٢١.

[٤٦]ابن عذاري، البيان المعرب، ج١، ص٣٠-٣١.

[٤٧]ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٥٢؛ عبدالوهاب منصور، (١٩٦٨) قبائل الغرب، ج١، المطبعة الملكية، المغرب، ص١١٢؛ النويري، احمد عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (١٤٢٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، م١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج٢٢، ص٧٣.

[٤٨]زغلول، سعد عبدالحميد (١٩٧٩) تاريخ المغرب العربي، ج١، منشأة المعارف ، مصر، ص٢٠٧؛ عبدالعزيز سالم، (٢٠١١)، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعية، المغرب، ص١٤٦.

[٤٩]انظر: معالم الإيمان، ج١، ص٥٥؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٨؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢١١.

[٥٠]أنظر كل من: الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٦٥-٧١؛ الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار التراث، ج٥، ص١٠٥؛ وعلي بن الحسين المسعودي (١٤٠٦) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٨٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٩٣)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبدالأمير مهنا، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ج٢، ص٢٤٥.

[٥١]انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٢.

[٥٢]أنظر: المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣٠؛ النويرين نهاية الأرب، م١، ج٢٢، ورقة ٧٣.

[٥٣]المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق، ج١، ص٣٠.

[٥٤] المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق، ج١، ص٣٠.

[٥٥]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٥٣؛ الطبرابلسي، المنهل العذب، ج١، ٣٨؛ والمالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣٠-٣١؛ خطاب محمود شيت (١٩٨٤)، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، بيروت، ص١٥.

[٥٦]العميد، طاهر مظفر (١٩٧٧)، تأسيس مدينة القيروان، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد ٢١، ص٣٤٢.

[٥٧]العروسي، محمد (١٩٨١) مسيرة القيروان، دار العربية للكتاب، تونس، ص١٧.

[٥٨]ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٣، ص٤٥٣؛ خطاب، محمود شيت (١٩٨٤)، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، بيروت، ص١٥.

المراجع:

١- ابن الأثير، (١٩٧٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الثالث، المكتبة العلمية، بيروت.

٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالوحد الشيباني الجزري، عزالدين (١٩٩٧) الكامل في التاريخ، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ابن الأثير عز الدين أبو الحسن (٢٠١٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، دار ابن حزم، بيروت.

٤- ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد (١٩٨٨) تاريخ علماء الأندلس، ج١/١٧، مكتبة الخانجي، الخانجي، القاهرة.

٥- ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله عبدالحكم بن أعين القرشي المصري (١٩٩٦) فتوح مصر وأخبارها ، دار الفكر، بيروت.

٦- ابن عذارى (١٩٤٨) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، مطبعة بريل – لندن.

٧- ابن ماكولا، ابو نصر علي بن هبة الله (١٩٦٦) الاكمال في رفع الارتاب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب، ج١، عني بتصحيحه والتعليق عليه عبدالرحمن بن يحيى المعلي اليماني، الناشر محمد أمين، ط٢، حيدر آباد.

٨- أبو العرب، محمد (١٩٨٦) طبقات علماء أفريقيا وتونس، تقديم علي الشابي ونعيم الشابي ونعيم اليافي، الدار الفرنسية.

٩- ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، (د.ت) طبقات علماء أفريقيا ، دار الكتاب اللبنانين بيروت.

١٠- أحمد عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٤٧ (م١، ج٢٢، ورقة ٧١أ).

١١- البلاذري،أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(١٩٨٨) فتوح البلدان، بيروت:دار الهلال.

١٢- بن خياط، خليفة أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (١٤٠٥هـ) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، دار القلم، ومؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت.

١٣- التهامي، نفزة، (١٩٦٤) القيروان عبر العصور، طباعة الدولة للشؤون الثقافية، المغرب.

١٤- الحموي، ياقوت (١٩٧٩) معجم البلدان ، ج٤، دار احياء التراث، بيروت، القيروان لفظ فارسي أصله (كاروان) وهو من الألفاظ المعربة قديما قبل امرئ القيس لقوله: وغارة ذات قيروان كان أسر ابها الرعالُ (ديوان أمرئ القيس).

١٥- الحنبلي، عبدالحي، (١٩٨٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، بيروت، دار ابن كثير.

١٦- خطاب، محمود شيت (١٩٨٤)، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، بيروت.

١٧- خلدون، بشير (١٩٨١) الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتويزع، الجزائر.

١٨- الدباغ ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (١٩٦٨) معالم الإيمان، ج١، تحقيق: محمد ماضور، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، بيروت.

١٩- الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤)، تاريخ الفتح العربي، هامش٢، دار المدار الإسلامي، بيروت.

٢٠- الزركلي (د.ت) الأعلام، ج٣، دار الملايين ، دمشق.

٢١- زغلول، سعد عبدالحميد (١٩٧٩) تاريخ المغرب العربي، ج١، منشأة المعارف، مصر.

٢٢- زيتون محمد (١٩٨٨) القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة.

٢٣- السلاوي (د.ت)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، دار الكتاب، الدار البيضاء.

٢٤- صادق جعفر حسن، (١٩٨٥) الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق، رسالة ماجستير (غير منشورة) مكتوبة على الآلة الكاتبة ، جامعة الموصل.

٢٥- الضياف، أحمد بن أبي (١٩٦٣)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس.

٢٦- الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار التراث.

٢٧- الطرابلسي، أحمد نائب الأنصاري (١٨٩٩) المنهل العذب في تاريخ الغرب، دار الفرجاني، استنبول.

٢٨- عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (١٩٢٠) فتوح مصر وأخبارها ، بغداد.

٢٩- عبدالعزيز سالم، (٢٠١١)، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعية، المغرب.

٣٠- عبدالوهاب منصور (١٩٨٦) ، قبائل المغرب، ج١، الرباط، المغرب.

٣١- عبدالوهاب منصور، (١٩٦٨) قبائل الغرب، ج١، المطبعة الملكية، المغرب.

٣٢- عبدالوهاب، حسن حسني (١٩٦٥)، الورقات، القسم الأول، مكتبة المنار، تونس.

٣٣- العروسي، محمد (١٩٨٦) سيرة القيروان، دار العربية للكتاب، تونس.

٣٤- علي بن الحسين المسعودي (١٤٠٦) مروج الذهب ومعادن الجوهرن ج٣، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٥- علي بن الحسين المسعودي (١٤٠٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ط١، بيروت .

٣٦- العميد، طاهر مظفر (١٩٧٧)، تأسيس مدينة القيروان، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد٢١.

٣٧- الفاسي، الحسن بن محمد الوزان (١٤٠٣هـ) وصف أفريقية، ج١، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٣٨- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (١٩٩٦) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مال، ج١، تحقيق احمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

٣٩- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (د.ت)، آثار البلاد واخبار العباد، بيروت: دار صادر.

٤٠- القضاعي، ابن الآبار القضاعي (١٣٨١هـ) ، الحّلة ، السيراء ، بيروت.

٤١- كتاب ولاية القيروان في أرقام، (٢٠١٠) إصدار وزارة التنمية الجهوية، ديوان تنمية الوسط الغربي، المغرب.
٤٢- المالكي، أبو بكر عبدالله، (١٩٩٤) رياض النفوس، ج١، تحقيق، محمد العروسي، دار الغرب الإسلامين بيروت.
٤٣- المراجع الإلكترونية: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org
٤٤- الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، الحضارة العربية، عقبة بن نافع.
٤٥- مؤنس، حسين (د.ت) فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية.
٤٦- النويري، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي، التيمي البكري، شهاب الدين (١٤٢٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٢، م١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
٤٧- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٩٣)، تاريخ اليعقوبي، ج٢، تحقيق عبدالأمير مهنا، بيروت، دار بيروت للطباعة، النشر.